Dr. Eng.
Nader Riad

هيلموت كول ... الانتخابات ومراجعة الذات !

يعترف الألمان دون ثمة اختلاف بينهم بأن هيلموت كول الذي استمر في منصبه رئيساً للحكومة الألمانية علي مدي ستة عشر عاماً تمثل أربع دورات متعاقبة في الحكم بأنه كان أفضل من تولي هذا المنصب ، حيث تمت في عهده قفزات ايجابية متعددة في مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في البلاد ، كما انه مهندس الوحدة الألمانية الذي نجح بحكمته في بلورة ما عرف بسياسة الوفاق مع الشرق والغرب ، وفي تحرير ألمانيا رسمياً من احتلال أربع جيوش عزلت برلين عن باقي الكيان الغربي لألمانيا، واستلزم الوصول إلي برلين الغربية براً أو جواً الحصول علي تصريح من ألمانيا الشرقية.

وبإجلاء الجيوش المحتلة أصبحت ألمانيا الموحدة دولة كاملة السيادة يحق لها المشاركة بالأمم المتحدة ، وبذلك طويت صفحة الحرب العالمية الثانية بمراراتها وآثارها السلبية التي ألقت بظلالها المريرة علي عقل ونفس كل ألماني لأكثر من ٥٠ عاماً .

كما يرجع الفضل لكول في إعداد وتنفيذ ما يسمي بالبنية الأساسية للوحدة الأوروبية من توحيد وتوفيق للأنظمة المالية والنقدية والتشريعية لقوانين العمل والضرائب والتشريعات النيابية وتوفيق المواصفات القياسية لكافة السلع ، وهو ما أدي في عهده إلي قيام الوحدة الأوروبية كمحصلة لهذا الجهد الكبير ، إلا أن هذا الرجل العظيم عندما خذله صندوق الانتخابات في الحصول علي فترة خامسة للحكم سئُل : لماذا خسرت الانتخابات ؟ ... فأجاب وهو مطرق الرأس : " إنني انشغلت بنجاحي في العمل وانتصاراتي الوطنية التي حققتها علي المستوي القومي والإقليمي فلم أعط الاهتمام الكافي للاتصال بالجماهير ، واعتبرت أن كشف الحساب بما فيه من إنجازات سيحسم

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة

نتيجة الانتخاب لصالحي دون ثمة حاجة مني لبذل الجهد اللازم والكافي للتواصل الجماهيري .

وبهذا فقد نطق هيلموت كول بحقيقة قد تغيب عن بعضنا من أن بقاء الفرد لفترات متتابعة مهما كانت درجة نجاحه إلا أن هذا لا يجب أن يشغله عن ضرورة أن يضع خطة عمل لكل مرحلة من مراحل توليه السلطة وتجديداتها بحيث تتمشي مع احتياجات كل مرحلة ، ويفرد لها الموازنات التخطيطية التي تحولها من خطط علي الورق إلي الدخول في حيز التنفيذ الفعلي ، واضعاً في الحساب أن في هذا إعلان من مرشح الرئاسة لخططه في صورة تعهدات قابلة نتائجها للقياس ومعلنه أمام ناخبيه وايضاً معارضيه علي حد السواء .

وقد يبادر أي رئيس من هذا المنطق في إعلان كشف حساب عن إنجازاته قبل انقضاء فترة حكمه ليعلن علي الملأ بمعيار قابل للقياس درجة النجاح بصورة علنية وغير مختلف حولها .

ونحن في مصر في معركتنا الانتخابية التي تدور رحاها بين عشرة متنافسين في جو غير مسبوق من ديمقراطية الانتخاب وحرص كافة الأطراف علي إتباع القواعد التي يتبعها العالم الحر بصورة قد تصلح نموذجاً قابلاً للتطبيق في محيط دول العالم الثالث .

واهم ما يثير الإعجاب بالتجربة الانتخابية المصرية الحالية هو أنها تتواصل مع ما قاله هيلموت كول في لحظة الحساب مع الذات رغم تأكدنا من عدم وجود أي اتصال سابق أو لاحق بفكر المستشار الألماني السابق فيما يتعلق برؤيته عن موضوع الانتخابات .

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة

والمثير للتقدير والإعجاب ما اتبعه مرشح الحزب الوطني الديمقراطي الرئيس حسني مبارك من إعلان لخطط طموحة وقابلة للتنفيذ ومتكاملة في مضمونها تمثل برنامجه الحزبي الذي يدخل به الانتخابات منافساً لتسع مرشحين آخرين ، وهو الأمر الذي لم يألفه بعض من منافسيه ، فقد ظهر احد المرشحين من صعيد مصر في برنامج تليفزيوني معقباً علي برنامج الحزب الوطني الذي أعلنه بحديقة الأزهر بعد ساعة من إلقائه ليصفه بأنه تمثيلية متسائل ملوحاً : لماذا لم ينفذ الرئيس برنامجه هذا وطموحاته المبهرة تلك من قبل أثناء فترات حكمه السابقة ؟

وبذا فقد اثبت هذا المرشح شأن كثيرين غيره من انه لا يفرق بين برنامج عمل فترة قادمة يتعهد صاحبها بالالتزام بها ، وبين إنجازات في صورة كشف حساب عن فترة سابقة .

هذا الأمر أشبه بمن يتساءل لماذا لم تنتج شركة مرسيدس منتجها المبهر طراز ٢٠٠٥ خلال الأربعينات بدلاً من الانتظار لعام ٢٠٠٥ ؟

وفي هذا يغيب عن البعض أن طراز ٢٠٠٥ المبهر هذا ليس سوي نتاج مطور لأفكار وآليات وإبداعات بنيت علي الطراز السابق الذي أطلق عام ٢٠٠٤ وجاء نتيجة مباشرة له .

إن ما نحياه يا سادة الآن إنما هو القدرة علي صناعة النجاح وما يليها من الحاجة إلي تطوير النجاح للوصول لمزيد من النجاح ، وهو الأمر الذي يؤكد أن لكل مرحلة من مراحل دورات العمل الوطني وما اتسمت به وتلازمت معه من وجود لخطط مستقلة للتطوير المستمر وقبول للتحديات والمستجدات الجديدة إنتهاءاً بالقدرة علي قياس تلك الإنجازات بمقياسها الصحيح .

تليفون : ٥٩١٠٠٥٠ / ٥٩١٨٠٤٣ (٠٢) فاكس : ٥٩١٣٧٦٢ (٠٢) ص.ب : ٢٠١٦ – ١١١١١ القاهرة